الفقر والعدالة الاجتماعية في ضوء السنّة النّبوية

Care for the Poor and Social Justice in the Light of Sunnah of the Prophet (SAW)

عبد الحميد خرّوب*

نورة محمّد زواي**

Poverty is a universal social phenomenon. There are numerous factors behind it i.e. its ratio and proportion varies from one society to another. In spite of great developments in the modern contemporary world, the impact of this phenomenon has extended to the economic, political, cultural, social and environmental aspects. The poverty is not only restricted to provide the basic needs of bread, butter, clothing, shelter, health, education and other amenities, but it also covers every aspect which has been neglected by the society. The different governing systems have been tried to tackle with this problem and many theories have been emerged to resolve this issue and give affective solutions but no affective solution has been discovered so far.

Islam has a distinctive and realistic approach in tackling with the issue of poverty. Natural remedy neither scorns the poor nor describes them with negative descriptions. Indeed, its approach is integrated and balanced one to deal with this severe problem. Islam paves a way to achieve social justice and equitable distribution of wealth to fight against the poverty. It warns against the dire consequences of extreme poverty that may lead the human beings to violence. This research article shows some aspects of Prophet's care for the poor and needy people with visionary divine approach.

حاولت دول العالم على اختلاف أنظمة الحكم فيها، معالجة ظاهرة الفقر، وبرزت نظريات كثيرة لتفسير هذه الظّاهرة، وبيان الحلول النّاجعة لها، إلاّ أنّها وقفت أمامها عاجزة، ولم تستطع حتى التخفيف منها، فالفقر في الواقع ظاهرة اجتماعية عالمية تعدّدت أسبابها، واختلفت نسبتها من مجتمع لآخر، وقد شكّلت هذه الظاهرة تحديا كبيرا للمجتمع الإنساني، بجميع أشكاله وألوانه ونظمه، ومستوياته المعيشية، ومع ما تشهده الحياة المعاصرة من تطوّر كبير فقد تجاوز أثر هذه الظّاهرة النّاحية الاجتماعية إلى

---

* أستاذ مساعد بقسم الحديث وعلومه، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد.

** أستاذة مساعدة بقسم الحديث وعلومه، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد.

ولم يكن تخلّيه عن حياة النّعيم والبذخ لقلّة حيلة أو عجز عن نيلها أو ضعف عن بلوغها، بل كان زاهدا فيها، راغبا في الدّار الآخرة، طالبا رضا الله تعالى وثوابه، وقد جاءته الدّنيا طائعة بين يديه، فلم يلتفت إليها يقول عمر بن الخطّاب: (فدخلت على رسول اللهﷺ وهو مضطجع على حصير فجلست، فأدنى عليه إزاره، وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثّر في جنبه فنظرت ببصري في خزانة رسول اللهﷺ فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصّاع ومثلها قرظا في ناحية الغرفة، وإذا أفيق[1] معلّق، فابتدرت عيناي، قال ما يبكيك يا ابن الخطّاب؟ قلت يا نبيّ الله وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثّر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلاّ ما أرى، وذاك قيصر وكسرى في الثّمار والأنهار وأنت رسول اللهﷺ وصفوته وهذه خزانتك، فقال ياابن الخطّاب ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدّنيا؟ قلت بلى)[2]

---

١. القرظ: ورق السّلم يدبغ به"....وأفيق: هو الجلد الذي لم يتمّ دباغه"، انظر عبد الرّحمن بن علي ابن الجوزي، : د.عبدالمعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م، ج ١، ص ٣١، ٩٩.

٢. مسلم، الجامع الصّحيح، كتاب الطّلاق، باب في الإيلاء والاعتزال، ص ٦٣٤-٦٣٥، رقم الحديث ٣٦٩١،

قال (كنا عند انس وعنده جبار له فقال ما اكل النبيﷺ خبزا مرققا ولا شاه مسموطة[6] حتّى لقي الله)[7].

---

١. الخزيرة من النّخالة، والحريرة من اللّبن.

٢. البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب البيوع، باب ذكر الخيّاط، ص ٣٣٦، رقم الحديث ٢٠٩٢.

٣. البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الأطعمة، باب قطع اللّحم بالسكّين، ص ٩٦٥، رقم الحديث ٥٤٠٨.

٤. البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الأيمان والنّذور، باب إذا حلف أن لا يأتدم فأكل تمرا، ص١١٥٤، رقم الحديث ٦٦٨٧.

٥. مسلم، الجامع الصّحيح، كتاب الأشربة، باب لايعيب الطّعام، ص ٩٢٢، رقم الحديث ٥٣٨٣.

٦. المسموط: الذي ازيل شعره بالماء السّاخن وشوي بجلده.

٧. البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الأطعمة، باب الخبز المرقّق، ص ٩٦٢، رقم الحديث ٥٣٨٥.

النّاحية الاقتصادية، والسياسية، والثقافية والبيئية، وهو يزداد انتشارا يوما بعد يوم، والهوّة بين الأغنياء والفقراء اتسعت دائرتها أكثر من ذي قبل، والحياة الكريمة للفرد، صارت حلما خياليا في ظلّ الأوضاع الرّاهنة.

ولا ينحصر الفقر في الفئة العاجزة عن توفير الاحتياجات الأساسية، من لقمة العيش، والتعليم، وفرص العمل..وغيرها بل يشمل كلّ فئة تمّ إهمالها في المجتمع، أو حرمت من الخدمات الاجتماعية.

وللإسلام منهجه الخاص المتميّز في معالجة الفقر، فهو بداية يقرّ بوجود الفقر والفقراء، ويعتبر ذلك ظاهرة قديمة منذ نشأة الحياة في هذا الكون، وواقعا لا يمكن إنكاره، ولا يزدري الفقراء، ولا يصفهم بأوصاف سلبية، بل إنّ منهجه منهج متكامل اجتمع فيه بتوازن دقيق، صواب وخير ما تتطلع إليه المناهج المختلفة لمعالجة هذه الظاهرة، وقد بيّن الإسلام المنهج السّليم في التعامل مع الفقر والفقراء، من خلال تشريعات جعلها فريضة على الأغنياء، ودعا جميع أفراد المجتمع للمشاركة في التنمية والتكافل الاجتماعي، ولو بالذكر والتبسّم، ورسم الطريق إلى تحقيق العدالة الاجتماعية وتوزيع الثروة توزيعا عادلا، وحرّم الفساد في الأرض، وعدّ صاحبه كمن يقتل النّاس جميعا، وحارب الفقر محاربة شديدة، وحذّر من عواقبه الوخيمة التي تدفع الإنسان إلى

وكان ينهى عن مظاهر التّرف فيقول: (لا تلبسوا الحرير ولا الدّيباج، ولا تشربوا في آنية الذّهب والفضّة ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدّنيا ولنا في الآخرة)[1].

إنّ ابتعاد الحكام عن مظاهر الترف والبذخ والإسراف في الإنفاق، والتزام الكفاف والعفاف، وترشيد المال، والاهتمام الجاد بمعالجة ظاهرة الفقر، يخفّف من شدّة وطأتها، ويمهّد الطريق لحلّها، ولو سعت الحكومات سعيا جادا لدراسة هذه الظاهرة دراسة علمية، وتظافرت جهود العلماء من شتى التخصصات، ووضعت البرامج الكفيلة للحدّ من انتشار هذه الظاهرة وعملت على تطبيقها على مرّ الزمن، لكانت الحياة أفضل مما عليه الآن.

وإذا ما أهديت إليه شاة مشوية فإنّه يتصدّق بها، فعن عائشة رضي الله عنها: (أنّهم ذبحوا شاة فقال النّبي ﷺ ما بقي منها؟ قالت ما بقي منها إلاّ كتفها، قال بقي كلّها غير كتفها)[1].

ومع ابتعاده عن مظاهر التّرف في المسكن والمأكل والملبس والمشرب وفي الحياة كلّها، فإنّه كلّما وقع مال في يده فرّقه على الفقراء والمحتاجين ولا يُبقي منه شيئا لنفسه، حتّى رهن درعه عند يهودي من أجل طعام اشتراه لأهله، فعن قتادة عن أنس قال: ولقد رهن النّبيﷺ درعا له بالمدينة عند يهودي وأخذ منه شعيرا لأهله، ولقد سمعته يقول ما أمسى عند آل محمّدﷺ صاع برّ ولا صاع حبّ وإنّ عنده لتسع نسوة"[2].

وكانت هذه الحياة صعبة على نسائه، فسألنه زيادة النّفقة يستعنّ بها على الشّدائد، ويوسعن بها على أنفسهنّ فأبى وخيّرهنّ بين الصّبر على حياة التقشّف أو يسرحوهنّ سراحا جميلا، فاخترنه جميعا رضوان الله عليهنّ.

ولقد استبعد بعضهم رهن النّبيﷺ درعه عند يهودي، ظنّا منهم أنّ هذا العمل فيه إساءة للرّسولﷺ، لأنّ الفارس الشّجاع لا ينبغي له أن يرهن درعه قط، ثمّ أليس في المسلمين مواس ومقرض حتّى يلجأ إلى يهودي، وقد ردّ عليهم ابن قتيبة فقال: "ونحن نقول إنّه ليس في هذا ما يستعظم بل ما ينكر لأنّ النّبيﷺ كان يؤثر على نفسه بأمواله ويفرّقها على المحقّين من أصحابه وعلى الفقراء والمساكين وفي النّوائب التي تنوب المسلمين، ولا يردّ سائلا ولا يعطي إذا وجد إلاّ كثيرا، ولايضع درهما فوق درهم ...وكيف يعلم المسلمون وأهل اليسار من صحابته بحاجته إلى الطّعام وهو لا يعلمهم ولاينشط في وقته ذلك إليهم، وقد نجد هذا بعينه في أنفسنا وأشباهنا من النّاس ونرى الرّجل يحتاج إلى الشّيء فلا ينشط فيه إلى ولده ولا إلى أهله ولا إلى جاره ويبيع العلق ويستقرض من الغريب والبعيد وإنّما رهن درعه عند يهودي لأنّ اليهود في عصره

---

١. الترمذي، جامع الترمذي، كتاب صفة القيامة والرّقائق والورع، باب قوله صلّى الله عليه وسلّم في الشّاة، ص ٥٦٣، رقم الحديث ٢٤٧٠، وقال: "هذا حديث صحيح"، وقال الشيخ الألباني: "صحيح". انظر الألباني، السّلسلة الصّحيحة، ج ٦، ص ٤٥، رقم الحديث ٢٥٤٤.

٢. البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب البيوع، باب شراء النّبي بالنّسيئة، ص ٣٣٢، رقم الحديث ٢٠٦٩.

كانوا يبيعون الطّعام ولم يكن المسلمون يبيعونه لنهيه عن الاحتكار فما الذي أنكروه من هذا حتّى أظهروا التعجّب منه وحتّى رمى بعض المرقة الأعمش بالكذب من أجله"[١].

كثرة الصيام

الصيام عبادة تزكّي نفس الإنسان وتجعله موصولا بربّه، يحسّ بآلام الآخرين ويشاركهم ثقل الحياة عليهم وكانﷺ مع ابتعاده عن حياة التنعّم وصبره على الجوع، كثير الصّيام والوصال ويدخل أحيانا بيته فيسأل عن الطّعام، فإذا قيل له لايوجد قال: إنّي صائم، فعن عائشة أمّ المؤمنين قالت: (دخل عليّ النّبيﷺذات يوم فقال: هل عندكم شيء؟فقلنا لا، قال فإنيّ إذن صائم، ثمّ أتانا يوما آخر فقلنا يارسول الله أهدي لنا حيس، فقال أرينيه فلقد أصبحت صائما فأكل)[٢]

ومع كثرة صيامهﷺفإنّه كان رحيما بأصحابه، يمنعهم من صيام الدّهر حتّى لايكون سببا في تضييع واجباتهم وحقوق غيرهم عليهم، كما في حديث عبد الله بن عمرو_ الذي كان يصوم يوما ويفطر يوما[٣]، وبعد أن كبر _، شعر بالتّعب بما شدّد على نفسه من كثرة الصّيام، وأدرك قيمة نصيحة رسول اللهﷺله، وعلم مافيها من رحمة بنفسه فندم على عدم أخذه بها، فقال: لأن أكون قبلت الثّلاثة الأيّام التي قال رسول اللهﷺأحبّ إلي من أهلي ومالي"[٤].

المطلب الثاني: تشريعات إلزامية

ومنها:

فريضة الزكاة:

لم يكتف الإسلام بالدّعوة إلى الصّدقة وإنّما جعلها فريضة تؤخذ من الأغنياء وتردّ على الفقراء، وجاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تأمر بالصّدقات وتعد أصحابها بالأجر الكبير عند الله عزّ وجلّ،

---

١. عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢م، ص ١٤٣-١٤٦.

٢. مسلم، الجامع الصّحيح، كتاب الصّيام، باب جواز صوم النّافلة بنية من النّهار، ص٤٧٠، رقم الحديث ٢٧١٥.

٣. انظر البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الصّيام، باب صوم الدّهر، ص ٣١٨، رقم الحديث ١٩٧٦.

٤. مسلم، الجامع الصّحيح، كتاب الصّيام، باب النّهي عن صوم الدّهر، ص ٤٧٣، رقم الحديث ٢٧٢٩.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1].

وأمر الله تعالى نبيّه ﷺ أن يأخذ الصّدقة من الأغنياء، ويوزّعها على الفقراء، فقال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

فعمل النّبيّ ﷺ بأمر ربّه، وحين بعث معاذا إلى اليمن قال له: (إنّك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أوّل ما تدعوهم إليه عبادة الله عزّ وجلّ، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أنّ الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أنّ الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فتردّ على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوقّ كرائم أموالهم)[3].

عقوبة مانعي الزكاة

لم يترك الإسلام مساعدة الفقراء شأنا فرديا اختياريا، بل جعل رعايتهم أمرا واجبا على الأفراد والدّولة، وتوعّد الأغنياء الذين يبخلون بأموالهم عن الفقراء، ويمتنعون من أداء مايتوجّب عليهم من الزّكاة، بعذاب شديد ينتظرهم يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[4].

---

١. سورة التوبة، ٦٠.

٢. سورة التوبة، ١٠٣.

٣. مسلم، الجامع الصّحيح، كتاب الإيمان، باب الدّعاء إلى الشّهادتين، ص٣٢، رقم الحديث ١٢٣.

٤. سورة آل عمران، ١٨٠.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: (من آتاه الله مالا فلم يؤدّ زكاته مُثِّلَ له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يُطَوَّقه يوم القيامة، ثمّ يأخذ بِلِهْزِمَتَيْهِ، يعني بشدقيه، ثمّ يقول أنا مالك أنا كنْزك، ثمّ تلا ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ...﴾)[1].

ومع هذا العذاب الشّديد الذي أعدّه الله لمن يفرّطون في إعانة الفقراء والمساكين ولايؤدون حقوق أموالهم، فقد قرّر الإسلام جملة عقوبات في حقّ مانعي الزكاة، منها:

١- تولي الحاكم أو ولي الأمر، أخذ الزكاة بسلطان الشّرع، وقوّة الدولة، ممّن تتوجّب عليهم إذا امتنعوا، قالﷺ: (من أعطاها مؤتجرا، فله أجرها، ومن منعها فإنّا آخذوها وشطر ماله، عزمة من عزمات ربّنا عزّ وجلّ، ليس لآل محمد منها شيء)[2].

٢- فرض ضريبة مالية على الممتنع عن أداء الزكاة-كما نصّ عليه الحديث السّابق- وذلك بأخذ شطر ماله تعزيرا وتأديبا له، وردعا لغيره.

٣- قتال مانعي الزكاة حتى يؤدّوها، قالﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله)[3].

---

١. البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الزّكاة، باب إثم مانع الزّكاة، ص ٢٢٦، رقم الحديث ١٤٠٣.

٢. محمد بن إسحاق بن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، تح: د/ محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٠م، ج ٤، ص ١٨، وقال الأعظمي: "إسناده حسن"، ورواه أبو داود، السنن، كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة، ص٢٣٣، رقم الحديث ١٥٧٥، قال الشيخ الألباني: إسناده حسن، وصححه الحاكم والذهبي وابن الجارود ج ٥، ص ٢٩٦، انظر صحيح أبي داود، ط١، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠٠٢م، وقال شعيب الأرنؤوط: "إسناده حسن"، انظر المسند للإمام أحمد، مسند الكوفيين، حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جدّه، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ج ٥، ص ٢.

٣. البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الإيمان، باب ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَآتَوُا الزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا

وهذا ما فعله الخليفة أبوبكر الصديق ـ حين تمرّدت بعض القبائل عن أداء الزكاة، وفرّقت بينها وبين الصّلاة، ورغم اعتراض بعض الصّحابة في بداية الأمر، فقد أصرّ على قتالهم، رافضا التفرقة بين العبادات البدنية والعبادات المالية[1].

وبذلك يكون الإسلام سبّاقا، إلى إعلان الحرب على الممتنعين عن أداء الزكاة ليحفظ حقّ الفقراء والمستحقّين، ويقيم العدالة الاجتماعية، وقد أبدى بعض مفكري الغرب، إعجابهم الشّديد بفريضة الزكاة، التي يلزم بها كلّ من توفرت فيه شروطها، دون محاباة لأيّ أحد، مهما كان مقامه، يقول"هل": "كانت فكرة المساواة الاجتماعية تجديدا تامّا أحدثه الإسلام، فأصبحت مساعدة الفقير والقيام بأمره واجبا مقدّسا، ولم يعد من شأن الأفراد أن يعطوا كيفما شاؤوا، وإنّما غدت الزّكاة تجبى إلى بيت المال وينفق منها على الفقراء"[2].

ويقول ول ديورانت: "لسنا نجد في التاريخ كلّه مصلحًا فرض على الأغنياء من الضرائب ما فرضه عليهم محمد لإعانة الفقراء.."[3].

حقّ الفقراء في الغنائم والفيء

إذا لم يتمكّن الفقراء والمساكين من مشاركة إخوانهم المجاهدين في الحرب لموانع مختلفة، فإنّ الله تعالى لم يسقط نصيبهم من الغنائم، بل جعل لرسوله خمس الغنائم ليوزّعها عليهم، وبقية الأخماس تقسّم على المقاتلين كلّ واحد ينال حقّه حسب بلائه في الحرب، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوٓا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[4].

سَبِيلَهُمْ(التوبة ٥)﴾، ص٧، رقم الحديث ٢٥.

١. البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ص ١٢٥٣، رقم الحديث ٧٢٨٤.

٢. ي. هل، الحضارة العربية، ترجمة د/إبراهيم أحمد العدوي و د/حسين مؤنس، مكتبة الأنجلو مصرية، ص ٢٤

٣. ول ديورانت: قصة الحضارة، ج ١٣، ص ٥٩

٤. سورة الأنفال، ٤١

وأمّا في حالة الفيء، وهو ماينالہ الجيش الإسلامي من غنائم بلا قتال، فإنّ الله تعالى قد جعل المال كلّه للرّسول يوزّعه على الفقراء والمساكين وغيرهم من الضّعفاء، قال تعالى: ﴿مَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾[1].

زكاة الفطر

تعتبر زكاة الفطر من الصّدقات الإلزامية، ففي شهر رمضان المبارك من كلّ عام يخرج المسلم من ماله صدقة تسمّى زكاة الفطر، وهي واجبة على كلّ حُرّ وعبد، ذكرا كان أو أنثى، صغيرا أوكبيرا، والحكمة منها واضحة وهي تطهير الصّائم من اللّغو والرّفث، ورحمة بالفقراء والمساكين، فتدخل السّرور عليهم، وتبتهج نفوسهم، ويشعرون بفرحة العيد ويستغنون في هذا اليوم عن السّؤال، قال ابن عباس رضي الله عنهما: " فرض رسول اللهﷺ زكاة الفطر طهرة للصّائم من اللّغو والرّفث، وطعمة للمساكين من أدّاها قبل الصّلاة، فهي زكاة مقبولة، ومن أدّاها بعد الصّلاة، فهي صدقة من الصّدقات"[2].

المطلب الثالث: التكافل الاجتماعي

جعل الإسلام التكافل الاجتماعي من أهمّ العبادات،التي يتقرّب بها العبد لربّه وهو ليس مقصورا على الحاجات المادية فقط، بل يشمل الحاجات المعنوية أيضا، وعطاؤه لجميع الناس، على اختلاف أجناسهم، وأديانهم، ومن مظاهره:

النّصر بالضّعفاء

شجّع النّبيﷺ النّاس على مدّ يد العون للفقراء والمساكين، وجعل رعايتهم من أسباب الرّزق والنّصر، فقال: (هل تنصرون وترزقون إلاّ بضعفائكم)[3]، قال ابن البطّال: "وتأويل ذلك أنّ عبادة الضّعفاء ودعاءهم أشدّ إخلاصا وأكثر خشوعا لخلاء قلوبهم من التعلّق بزخرف

---

١. سورة الحشر، ٧

٢. أبو داود، السنن، كتاب الزّكاة، باب زكاة الفطر، ص ٢٣٨، رقم الحديث ١٦١١، وقال الألباني: "إسناده حسن، وحسّنه ابن قدامة والنّووي"، انظر الألباني، صحيح أبي داود، كتاب الزّكاة، باب زكاة الفطر، ج ٥، ص ٣١٧

٣. البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الجهاد والسّير، باب من استعان بالضّعفاء والصّالحين، ص ٤٧٨، رقم الحديث ٢٨٩٦

الدّنيا وزينتها، وصفاء ضمائرهم ممّا يقطعهم عن الله فجعلوا همّهم واحدًا، فزكت أعمالهم، وأجيب دعاؤهم"[1]، "وذلك من أعظم أسباب الرّزق والنّصر"[2].

التحذير من البخل

حذّر النّبي ﷺالذين يبخلون بأموالهم على النّاس ولاينفقونها على الفقراء والمحتاجين من مغبّة فعلهم الذي لايزيدهم إلاّ تلفا لأموالهم فقال صلّى الله عليه وسلّم: (ما من يوم يصبح العباد فيه إلاّ ملكان ينْزلان فيقول أحدهما اللّهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر اللّهم أعط ممسكا تلفا)[3].

وضرب مثلا للمنفق والبخيل فقال: (مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبّتان من حديد من ثدييّهما إلى تراقيهما، فأمّا المنفق فلا ينفق إلاّ سبغت أو وفرت على جلده حتّى تخفي بنانه وتعفو أثره وأمّا البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلاّ لزقت كلّ حلقة مكانها، فهو يوسعها ولا تتّسع)[4].

النهي عن ادّخار لحوم الأضاحي

مرّ على النّاس عام شديد، جاع فيه الكثيرون منهم، فنهى النّبي ﷺعن ادّخار لحوم الأضاحي فوق ثلاث ليتصدّق النّاس بها على الفقراء والمساكين[5].

---

١. ابن بطّال القرطبي، شرح صحيح البخارى، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرّشد، الرّياض، السّعودية، ط٢، ٢٠٠٣م، ج ٥، ص ٩٠.

٢. الإمام الحافظ زين الدّين عبد الرّؤوف المنّاوي، التيسير بشرح الجامع الصّغير، مكتبة الإمام الشّافعي، الرّياض، ط٣، ١٩٨٨م، ج ٢، ص ٩٢٧.

٣. البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الزّكاة، باب قول الله تعال: ﴿فأمّا من أعطى واتّقى...﴾، ص٢٣٣، رقم الحديث ١٤٤٢.

٤. البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الزّكاة، باب مثل البخيل والمتصدّق، ص ٢٣٣، رقم الحديث ١٤٤٣.

٥. انظر البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الزّكاة، باب الاستعفاف، ص٢٣٩، رقم الحديث ١٤٧٢.

رعاية الفقراء

كان أهل الصفّة جماعة من الفقراء والمساكين[١] الذين هاجروا إلى الله ورسوله، ولم يكن في مقدور أهل المدينة استيعاب جميع المهاجرين إليهم، فكانوا يقيمون في ناحية المسجد في مكان يسمّى الصفّة فنسبوا إليه وكان النّبي يرسل إليهم الطّعام والشّراب ويدعوهم إلى بيته، ومن شدّة فقرهم وحاجتهم لجأ أحدهم إلى وسيلة ليلفت بها غيره إلى حاله ليخفّف عنه شدّة الجوع، فكان يقف في الطّريق ويسأل المارّة عن معنى آية من كتاب الله تعالى حتّى مرّ به نبيّ الرّحمة فعرف حاله وأخذه معه، ودعا غيره من المعوزين فأشبعهم[٢].

وكان النّبيﷺ يحثّ النّاس على مساعدتهم ويسبقهم إليهم، ويكون أكثرهم مواساة لهم، ورحمة بهم[٣]، بل إنّ رحمته بهم جعلته يؤثرهم على ابنته فاطمة سيّدة النّساء رضي الله عنها وهي زهرة فؤاده وفلذة كبده، وأحبّ النّاس إلى قلبه[٤].

وكان ﷺيشارك النّاس آلامهم ويتوجّع لحالهم، بل إنّه تحمّل عنهم هموم الحياة ومتاعبها وأزاح عنهم أعباءها وأثقالها، فأعلن أمام الملأ قائلا: (من ترك مالا فهو لورثته، ومن ترك

---

١. روى البخاري بسنده عن أنس بن مالك (قدم رهط من عُكْلٍ على النبيﷺ فكانوا في الصفة وقال عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق كان أصحابُ الصفة الفقراءَ)، كتاب الصّلاة، باب نوم الرجال في المسجد، ص ٧٦.

٢. انظر البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الرّقاق، باب كيف كان عيش النّبي وأصحابه، ص١١٢٠، رقم الحديث ٦٤٥٢.

٣. البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب مواقيت الصّلاة، باب السّمر مع الأهل والضّيف، ص ١٠٠، رقم الحديث ٦٠٢.

٤. انظر البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب فرض الخمس، باب الدّليل على أنّ الخمس لنوائب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ص ٥١٥-٥١٦.

كلاّ فإلينا)[1]، إنّه يرى النّاس عائلة واحدة هو ربّها والقيّم عليها، فما أرحمك ياأرحم العالمين !!

المطلب الرّابع: الوقاية من الفقر وعلاجه:

للإسلام أسلوبه الخاص في الوقاية من ظاهرة الفقر، يتمثّل في مظاهر عديدة، ومن أهمّها:

الإيمان الصّحيح

إنّ المنهج الصّحيح الذي يحقّق الكفاية المعيشية للنّاس، يكمن في الإيمان بالله تعالى، والالتزام بالتقوى، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[2].

فالاعتقاد الصّحيح الجازم بأنّ الله تعالى هو الخالق الواحد المحيي المميت، الرازق بيده ملكوت السموات والأرض، يغرس في النّفس الاطمئنان، والرضا بما قسم الله تعالى لعباده، ويدفع الإنسان للسعي الحثيث وراء رزقه الذي قدّر له، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[3].

وعلى الإنسان أن يكون تقيّا في طلب رزقه، فيأخذ بالأسباب المشروعة، ويحذر الكسل والتواكل، والظلم، ليفتح له الله تعالى أبواب الرزق من حيث لايحتسب، قال الله تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾[4]، كما ينبغي عليه أن يحسن التوكّل على الله تعالى، فهو مفتاح الرزق، قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ

---

١. البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الاستقراض، باب الصّلاة على من ترك دينا، ص ٣٨٥، رقم الحديث ٢٣٩٨.

٢. سورة الأعراف، ٩٦.

٣. سورة هود، ٦.

٤. سورة الطلاق، ٢-٣.

﴿قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[۱]، وقالﷺ: (لو انكم توكلتم على الله توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا، وتروح بطانا)[۲].

وكلّما أدرك الإنسان أخطاءه، وصحّحها بالتوبة، ولازم الاستغفار، وأكثر منه، إلاّ وكان الكون في خدمته، وحلّت البركة في ماله وعياله، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[۳]، ثمّ مع ذلك لا يغفل عن شكر الله تعالى على نعمه الظاهرة والباطنة، فالشكر من أسباب زيادة الرزق، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٤]، والشكر يقتضي الابتعاد عن الإسراف والتبذير، والحذر منه، لأنّه آفة الرزق، ومجلاب للفقر قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[٥] وقالﷺ: (كلوا واشربوا والبسوا وتصدّقوا في غير إسراف ولا مَخِيلة)[٦].

---

١. سورة الطلاق، ٣.

٢. محمد بن عيسى الترمذي، الجامع، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، كتاب الزهد، باب التوكل على الله، دار إحياء التراث العربي، بيروت، قال أبو عيسى: "هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه"، قال الشيخ الألباني: "صحيح"، ج ٤، ص ٥٧٣، ورواه محمد بن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ١٩٩٣م، قال شعيب الأرنؤوط: "إسناده جيد"، ج ٢، ص ٥٠٩.

٣. سورة نوح، ١٠.

٤. سورة إبراهيم، ٧.

٥. سورة الأعراف، ٣١.

٦. البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب اللّباس، باب قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾، ص١٠٢٠، رواه تعليقا. ووصله ابن حجر في تغليق التعليق، ت/ سعيد عبد الرّحمن موسى القزقي،

محاربة الفقر

لايحسبنّ الجاهلون أنّ ابتعاد النّبيﷺعن رغد الحياة الدّنيا، ورعايته للضّعفاء، وتحريض النّاس على مساعدتهم، دعوة منه لاستحباب الفقر والمسكنة، وتشجيعا منه على الكسل والكسب بلا عرق، فتنتشر البطالة، وتتفاقم ظاهرة الفقر في المجتمع، كلاّ وألف كلاّ، فالإسلام لم يرغّب في الفقر، وإنّما شرّع وسائل كثيرة لمحاربته، فكانﷺ يستعيذ بالله من الفقر قائلا: (اللّهم إنّي أعوذ بك من الفقر والقلّة والذلّة وأعوذ بك أن أظلم أو أظلم)[1]. ويأمر النّاس بالتعوّذ من الفقر فيقول: (تعوّذوا بالله من الفقر)[2]، ويدعو الله تعالى أن يغنيه من الفقر فيقول: (اللّهم أنت الأوّل فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنّا الدّين وأغننا من الفقر)[3]. ومع استعاذته من الفقر

المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، ج ٥، ص ٥٢، ورواه ابن ماجه بسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ، انظر السنن، كتاب اللباس، باب البس ماشئت، ص ٥١٩، رقم الحديث ٣٦٠٥، وقال الشيخ الألباني: "حسن"، انظر محمد بن عبد الله، التبريزي، مشكاة المصابيح، ت/الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م، ورواه الإمام أحمد، المسند، ت/شعيب الأرناؤوط، مسند عبد الله بن عمرو ﷺ، مؤسسة قرطبة، القاهرة، وقال شعيب الأرناؤوط: "إسناده حسن" ج ٢، ص١٨٢، رقم الحديث ٦٦٩٥.

١. البخاري، الأدب المفرد، كتاب الأذكار، باب دعوات النّبيﷺ، ص ٢٣٦، رقم الحديث ٦٧٨، قال الألباني: "صحيح"، انظر الألباني، صحيح الأدب المفرد، ص ٢٥١، ورواه ابن حبّان، صحيح ابن حبّان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، باب الأدعية، ج ٣، ص ٣٠٥، رقم الحديث ١٠٣٠، وعلّق عليه المحقّق فقال: "إسناده صحيح على شرط مسلم".

٢. ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، كتاب الرّقائق، باب الأدعية، ج٣، ص ٢٨٤، رقم الحديث ١٠٠٣، وعلّق عليه شعيب الأرنؤوط فقال: "حديث صحيح".

٣. مسلم، الجامع الصّحيح، كتاب الذكر والدّعاء والتوبة، باب ما يقول عند النّوم، ص ١١٧٩، رقم الحديث ٦٨٨٩.

فقد حذّر من مخاطر الغنى فقال: (فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكنيّ أخشى أن تبسط عليكم الدّنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم)[1].

معالجة الفقر

عمل النّبيﷺ على معالجة ظاهرة الفقر بأمور منها:

النّهي عن المسألة

نهى الرّسولﷺ عن المسألة فقال: (إنّ الله كره لكم ثلاثا، قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال)[2]، ولم يحلّ المسألة إلاّ لثلاثة رجال فعن قبيصة بن مخارق الهلالي قال: (تحمّلت حمالة[3] فأتيت رسول اللهﷺ أسأله فيها فقال: أقم حتّى تأتينا الصّدقة فنأمر لك بها، قال: ثمّ قال: ياقبيصة إنّ المسألة لا تحلّ إلاّ لأحد ثلاثة، رجل تحمّل حمالة فحلّت له المسألة حتّى يصيبها ثمّ يمسك ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلّت له المسألة حتّى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش، ورجل أصابته فاقة حتّى يقول ثلاثة من ذوي الحجا من قومه: لقد أصابت فلانا فاقة، فحلّت له المسألة حتّى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش، فما سواهنّ من المسألة ياقبيصة سحتا يأكلها صاحبها سحتا)[4].

---

١. البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا، ص ٦٧٧-٦٧٨، رقم الحديث ٤٠١٥.

٢. البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الزّكاة، باب من سأل الناس تكثرا، ص ٢٤٠، رقم الحديث ١٤٧٧.

٣. الحمالة: هي المال الذي يتحمّله الإنسان، أي يستدينه ويدفعه في إصلاح ذات البين.

٤. مسلم، الجامع الصّحيح، كتاب الزّكاة، باب من تحلّ له المسألة، ص ٤١٩-٤٢٠، رقم الحديث ٢٤٠٤.

محاربة البطالة، والدعوة للعمل

حارب النبيّ ﷺ البطالة، ودعا النّاس إلى العمل فقال: (لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكفّ الله بها وجهه خير له من أن يسأل النّاس أعطوه أو منعوه)[1]، ورغّب في الزّراعة فقال: (ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلاّ كان له به صدقة)[2].

وحين أخرج الكفّار المسلمين من ديارهم بغير حقّ، تركوا وراءهم أموالهم التي استولى عليها المشركون، ولم يكن في أيديهم شيء حين وصلوا مهاجرين إلى المدينة، ومع ذلك فإنّهم لم يرضوا بما عرضه عليهم إخوانهم الأنصار من مقاسمتهم أموالهم واختاروا العمل[3].

وبيّن أن أفضل طعام يأكله الإنسان هو من عمل يده، فقال: (ما أكل أحد طعاما قطّ خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإنّ نبيّ الله داود عليه السّلام كان يأكل من عمل يده)[4]. وقال: (إنّ أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإنّ أولادكم من كسبكم)[5].

---

١. البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الزّكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، ص ٢٣٩، رقم الحديث ١٤٧١.

٢. البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الحرث والمزارعة، باب فضل الزّرع والغرس، ص ٣٧٢، رقم الحديث ٢٣٢٠.

٣. انظر البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الشّروط، باب الشّروط في المعاملة، ص ٤٤٥، رقم الحديث ٢٧١٩.

٤. البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب البيوع، باب كسب الرّجل وعمله بيده، ص ٣٣٣، رقم الحديث ٢٠٧٢.

٥. الترمذي، جامع الترمذي، كتاب الأحكام، باب أنّ الوالد يأخذ من مال ولده، ص ٣٢٨، رقم الحديث ١٣٥٨. وقال: "هذا حديث حسن صحيح". ورواه ابن ماجة، السّنن، كتاب التّجارات، باب ما للرّجل من مال ولده، ص ٣٢٧-٣٢٨، رقم الحديث ٢٢٩٠، وقال الشيخ الألباني :"صحيح"، انظر الألباني، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السّبيل، ج ٦، ص ٦٥.

الدعوة للإنفاق

فضّل النّبيﷺ الإنسان المتصدّق على الذي يمدّ يده إلى الصّدقات فقال: (اليد العليا خير من اليد السّفلى، فاليد العليا هي المنفقة والسّفلى هي السّائلة)[١].

ورغّب في الصّدقة وبيّن أنّ أصحابها ينالون المكانة العالية يوم القيامة[٢]، وكان في كلّ مناسبة يذكّر أمّته بالعطف على الفقراء والمساكين، ويدعوها إلى إعانتهم بالصّدقات[٣].

ومع دعوته الشّديدة إلى الإنفاق على الفقراء والمساكين، فإنّه حرّم على نفسه وآل بيته الصّدقات، فكان لايأخذ منها شيئا، فعن أبي هريرة قال: (أخذ الحسن بن عليّ رضي الله عنهما تمرة من تمر الصّدقة فجعلها في فيه، فقال النّبيﷺ كخ كخ ليطرحها ثمّ قال أما شعرت أنّا لا نأكل الصّدقة)[٤].

ورغم كلّ هذا الترغيب في الصّدقة فإنّه ﷺ لايرضى أن يتصدّق الإنسان بما لديه ويترك عياله يتكفّفون النّاس، فبيّن أنّ أفضل الصّدقة تلك التي يتصدّق بها الإنسان على أهله[٥].

وحضر مجلس النّبيﷺ رجل له دنانير يريد أن يتصدّق بها، فسأل النّبيﷺ عن وجوه إنفاقها، فأمره أن ينفقها على أهل بيته، يعلّمه بذلك كيف يقدّم الأهمّ والأحوج في الصّدقة، وبعد أن استوفى الرّجل الواجبات التي عليه، قال له: "أنت أبصر" أي أعلم بمن هو أولى أن تتصدّق بدينارك عليه[٦].

---

١. البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الزّكاة، باب لا صدقة إلاّ عن ظهر غنى، ص ١٣١، رقم الحديث ١٤٢٩.

٢. انظر البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الزّكاة، باب الصّدقة باليمين، ص ٢٣٠، رقم الحديث ١٤٢٣.

٣. مسلم، الجامع الصّحيح، كتاب الأشربة، باب فضيلة المواساة في الطّعام القليل، ص ٩٢١، رقم الحديث ٥٣٧٠.

٤. البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الزّكاة، باب ما يذكر في الصّدقة للنّبي صلّى الله عليه وسلّم، ص ٢٤٢، رقم الحديث ١٤٩١.

٥. انظر مسلم، الجامع الصّحيح، كتاب الزّكاة، باب فضل الصّدقة على العيال، ص ٤٠٣، رقم الحديث ٢٣١١.

٦. انظر النّسائي، السّنن الصّغرى، كتاب الزّكاة، باب تفسير ذلك، ص ٣٥٠-٣٥١، رقم الحديث

الدعوة للاستعفاف

رغم دعوة النّبي ﷺ الشّديدة إلى مساعدة ذوي الحاجات، فإنّه كان ينبّه المحتاجين إلى ضرورة العمل والصّبر والاستعفاف عن المسألة، ويبيّن لهم فضل اليد العليا على اليد السّفلى، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (إنّ ناسا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثمّ سألوه فأعطاهم، ثمّ سألوه فأعطاهم حتّى نفد ما عنده، فقال ما يكون عندي من خير فلن أدّخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبّر يصبّره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصّبر)[1].

ولقد كان الصّحابة رضي الله عنهم عمّالَ أنفسهم[2]، والمحتاجون منهم استعفّوا استجابة لما دعاهم إليه الرّسول ﷺ، كما في حديث الصّحابي حكيم بن حزام رضي الله عنه[3].

النهي عن المسألة تكثّرا

من النّاس من يطلب الثّراء السّريع من غير عمل، ويتّخذ المسألة حرفة لجمع المال، ويحتال على النّاس بالمظاهر التي تستثير عواطفهم، فيغدقون عليه من أموالهم وهم يظنّون أنّه من مستحقّيها، وهذا الصّنف من النّاس أذهب سؤاله ماء الحياء من وجهه، وقد ذمّه النّبي ﷺ

٢٥٣٦، ورواه أبو داود، السّنن، كتاب الزّكاة، باب في صلة الرّحم، ص ٢٥٠، رقم الحديث ١٦٩١، ورواه البخاري، الأدب المفرد، الخدم والمماليك، باب نفقة الرّجل على عبده، ص٧٨. رقم الحديث ١٩٧، قال الشيخ الألباني :"حسن صحيح" أنظر الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، ج ٢، ص ٢٠٢، رقم الحديث ١٩٥٨، ورواه ابن حبان، صحيح ابن حبّان بترتيب ابن بلبان، كتاب الزّكاة، باب صدقة التطوّع، ج ٨، ص ١٢٦، رقم الحديث ٣٣٣٧، وعلّق عليه شعيب الأرنؤوط فقال: "إسناده حسن"

١. البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الزّكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، ص ٢٣٨، رقم الحديث ١٤٦٩.

٢. البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب البيوع، باب كسب الرّجل وعمله بيده، ص ٣٣٢، رقم الحديث ٢٠٧١.

٣. البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الزّكاة، باب مثل البخيل والمتصدّق، ص ٢٣٣، رقم الحديث ١٤٤٣.

ووصف حالته السيّئة التي يأتي عليها يوم القيامة فقال: (ما يزال الرّجل يسأل النّاس حتّى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم)[١].

وهؤلاء الذين يسألون النّاس من غير حاجة ويجمعون عرق غيرهم ويظنّونه بردا وسلاما فيستكثرون منه إنّما يجمعون لأنفسهم جمرا لوكانوا يعلمون، قالﷺ: (من سأل النّاس أموالهم تكثّرا، فإنّما يسأل جمرا، فليستقلّ أو ليستكثر)[٢].

وكانﷺ يهتمّ بالنّاس ويسأل عنهم، ولا تحرمهم الفوارق الاجتماعية من عدله، وفيض رحمته، روى البخاري بسنده عن ابن عبّاس رضي الله عنهما (أنّ رسول اللهﷺ مرّ بقبر قد دفن ليلا فقال متى دفن هذا، قالوا البارحة، قال أفلا آذنتموني، قالوا دفنّاه في ظلمة اللّيل فكرهنا أن نوقظك، فقام فصففنا خلفه قال ابن عبّاس وأنا فيهم فصلّى عليه)[٣].

بل إنّه من شدّة رحمته بأمّته وحرصه الكبير على إنقاذها جعل دعوته المستجابة شفاعة لأمّته يوم القيامة روى البخاري بسنده عن أنس عن النّبيﷺقال: (كلّ نبيّ سأل سؤلا أو قال لكلّ نبيّ دعوة قد دعا بها فاستجيب، فجعلت دعوتي شفاعة لأمّتي يوم القيامة)[٤].

---

١. البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الزّكاة، باب من سأل النّاس تكثّرا، ص ٤١٩، رقم الحديث ٢٤٠٤.

٢. مسلم، الجامع الصّحيح، كتاب الزّكاة، باب كراهة المسألة، ص ٤١٨، رقم الحديث ٢٣٩٩.

٣. البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الجنائز، باب صفوف الصّبيان مع الرّجال في الجنائز، ص٢١١، رقم الحديث ١٣٢١.

٤. البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الدّعوات، باب لكلّ نبيّ دعوة مستجابة، ص ١٠٩١-١٠٩٦، رقم الحديث ٦٣٠٥.

المطلب الخامس: العناية بالمحتاجين

لم يتأخّر النّبيﷺ عن مساعدة المحتاجين، وكان دوما يحثّ على مساعدتهم ويقول: (على كلّ مسلم صدقة، فقالوا يا نبي الله فمن لم يجد؟قال يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدّق، قالوا فإن لم يجد؟قال يعين ذا الحاجة الملهوف؟قالوا فإن لم يجد؟قال فليعمل بالمعروف، وليمسك عن الشرّ فإنّها له صدقة)[1].

ووعد الذين يكونون في خدمة حوائج النّاس، ويفرّجون عنهم كربهم، أن يكون الله في حوائجهم ويلطف بهم يوم القيامة فقال: (المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة)[2]، وعن سهل بن سعد قال: (جاءت امرأة ببردة قال أتدرون ما البردة؟ فقيل له: نعم هي الشّملة منسوج في حاشيتها، قالت يارسول الله إنّي نسجت هذه بيدي أكسوكها فأخذها النّبيّﷺ محتاجا إليها فخرج إلينا وإنّها إزاره، فقال رجل من القوم يارسول الله اكسنيها، فقال نعم فجلس النّبيﷺ في المجلس ثمّ رجع فطواها ثمّ أرسل بها إليه، فقال له القوم ما أحسنت سألتها إيّاه لقد علمت أنّه لا يردّ سائلا، فقال الرّجل والله ما سألته إلاّ لتكون كفني يوم أموت، قال سهل فكانت كفنه)[3].

---

١. البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب الزّكاة، باب على كلّ مسلم صدقة، ص ٢٣٣، رقم الحديث ١٤٤٥.

٢. البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب المظالم والغضب، باب لايظلم المسلم المسلم، ص٣٩٤، رقم الحديث ٢٤٤٢.

٣. البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب البيوع، باب النسّاج، ص ٣٣٦، رقم الحديث ٢٠٩٣.

وإذ لم يكن عنده مايسدّ به حاجة المحتاج سعى له حتّى يقضي حاجته[1].

أهمّ نتائج البحث:

بناء على ما تقدّم في هذا البحث، فإنّ النّظام الاقتصادي الإسلامي هو الحلّ الأمثل في معالجة ظاهرة الفقر، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وإنّ من أهمّ النتائج التي توصلنا إليها خلال هذا البحث، ما يلي:

١- تطبيق الإسلام للعدالة الاجتماعية في إتاحة الفرص المتكافئة.

٢- التكافل الاجتماعي فريضة إسلامية.

٣- محاربة الإسلام للفقر والبطالة.

٤- الخدمات الاجتماعية من أفضل الأعمال.

٥- ضرورة ترشيد الاستهلاك.

٦- أهميّة توزيع الثروة في نشر الأمن والسّلام في المجتمع.

وصلّى الله تعالى على محمّد النّبي المرسل رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما.

---

١. مسلم، الجامع الصّحيح، كتاب الأشربة، باب إكرام الضّيف، ص٩١٧،رقم الحديث ٥٣٥٩